البحث عن المشروعية

- تاريخ العلوم الإنسانية
- مشروطية النزعة التاريخانية والسياقية
- تاريخ "كامل" أم إبستمولوجيا؟
- تقاطع تواريخ الفروع العلمية
- مسارات، رهانات ومسائل حيوية
- قائمة بيبليوجرافية

لم يتقدم تطور التفكير حول المجتمع أكثر لكي يتم إعداد المناهج المتنوعة جدا: فتلك التي تم تشكلها كانت لغايات البحوث الأمبيريقية ــ بشأن التنظيمات أو استجابة للمسائل التأويلية التي أثارتها النزعة الإنسانية بالضرورة. ويبقى الجزء الأكاديمي من التفكير متموقعا في مستوى التحليل المقارن عن شهادات مختلفة: فهي لا تشترط أي تخصص؛ إذ بمقدور كل شخص أمين أن يتناول كافة الموضوعات. وتعكس وحدة حقل البحث التي تعبر عنها غريزة حب الاطلاع عند العقول الطيبة عدم نضج إجراءات البحث. ففي عصر الأنوار، كان تماسك علوم الإنسان ظاهريا أكثر منه واقعيا: فهو قد تولد من الثورة ضد الأزمنة الرديئة، التطرف الديني، اللامساواة الخارقة، الاستعباد، التعذيب وضد مختلف صور الظلم والجور، أساس الضرائب وتوزيع الثروة. ويشهد هذا أيضا على الفراغ الذي تركته النزعة العقلانية: كل الناس يمكنهم أن ينطلقوا من حقل القمع إلى حقل العقل.

تاريخ العلوم الإنسانية

لقد شكلت نهاية القرن 18م، لحظة حاسمة في تاريخ العلوم الإنسانية. إذ تحوّل تراكم القضايا والقلق صار أكثر حدة، عندما أعادت الثورات النظر في البنيات التقليدية للعلاقات الإنسانية. ومن جانب آخر فقد بات العقل هو أيضا في طريقه إلى فقدان كافة مزاياه، إذ كان منذ بداية القرن 17م بمثابة الضمانة الوثيقة للمقاربة العلمية–ولكن فجأة انقلبت الموازين: منذ الآن فصاعدا يتم الاستنجاد بانتصارات الفيزياء، بهدف تبرير فضائل العقل. وأصبح الدور الأيديولوجي لنظريات العقد الاجتماعي ملغوما بهذه الاضطرابات: ففي الوقت الذي فرضت الليبرالية نفسها في بلدان كانت في طريق التصنيع: بداية بإنجلترا، ثم في شمال أوروبا الغربية، بدأت أسس مذاهب العقد الاجتماعي تتهاوى. وعندها تم التخلي عن فكرة المجتمع بوصفه وسطا شفافا أمام الإرادة الإنسانية: تم اكتشاف الاستقلالية والعمق اللذين سبقت الإشارة إليهما من قبل المؤلفين الكلاسيكيين المفضلين، الذين فشلوا في إقناع معاصريهم بذلك. في الوقت ذاته

فإن المسألة التي تطرح تتعلق بإعطاء تبرير جديد للمقاربة العلمية: بما أنها لم تعد مبنية على الصخرة الصلبة للعقل، يجب عليها إذن أن تعثر في ذاتها على قاعدتها. في ميدان العلوم الاجتماعية، لا يمكننا التنازل عن الافتراضات الأيديولوجية التي يستند إليها التفكير، لكننا مجبرون على إعطائها صيغا أخرى.

إن تفتت العلوم الاجتماعية حدث لم يتم الشعور به كخطأ بقدر ما كانت وجهة النظر السائدة هي النزعة الوضعية: إذ لم يعد المشروع المقترح هو إنارة الفعل الإنساني من الداخل، بمساءلة الفاعلين وبتحليل الآليات التي تنظم الحياة الجماعية. إن الهدف من ذلك هو استكشاف الحياة الجماعية من الخارج، بكيفية لا تترك يفلت ما يشكل عمق واستقلالية الاجتماعي. أصبحت العلوم المبنية انطلاقا من نماذج العقد الاجتماعي، غريبة عن العلوم الاجتماعية الأخرى: الاقتصاد والعلم السياسي تابعا طريقهما بشكل منفصل. وقد تأثرا بضغط اللحظة حيث تعرضا لبعض المشكلات رفقة السوسيولوجيا والتاريخ. لكن هذه العلوم تتموقع كلها في منظور يعزلها ويمنع مطولا التبادلات الخصبة بينها: حيث يجهل التاريخ والجغرافيا غالبا استدلالات الاقتصاد. في الحين الذي انبنت فيه السوسيولوجيا كردة فعل ضد النماذج النفعية —إذ يبين **إ. دوركايم** (E. Durkheim (1858-1917 نقائص دراسات التقسيم الاقتصادي للعمل، عندما بحث عن الإشارة إلى خصوصية النظرة الاجتماعية. هكذا تطورت معظم العلوم باتجاه التفسيرات الشاملة. وصار التلاقي بين العلوم الاجتماعية ممكنا، بواسطة النزعة الوظيفية: فهي التي تقترح لأول مرة منذ القرن 18م، نظرية عن الحياة داخل جماعة، تفسر في الوقت ذاته سلوك كل واحد منها وتوازن المجموعة. ومثلما هو الحال في النظرية الاقتصادية، تتم الترجمة على أساس نموذج الإنسان وعلى نموذج المجتمع. ومثلما هو الحال في الاقتصاد، يتم التركيز على فهم التوازنات أكثر من التركيز على التوترات والتغيرات. ومع ذلك هناك معارضة قائمة: فنشأة إبستمولوجيات اللاوعي تقرأ في الهامش الضيق لاستقلالية معترف بها للفرد، في النموذج السوسيولوجي. لكن التماثلات

موجودة بشكل وثيق، بدرجة تسمح بقرب مجيء لحظة التفكير المشترك حول أسس الحياة الاجتماعية. لقد تطلبت عشرين سنة، قبل أن تفتح: لقد حالت اللغة العضوية التي أصابت كثيرا من الوظائفيين، دون ريب، من رؤية ما يشتركون فيه مع رجال الاقتصاد.

إن كتابة "تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية"، هي محاولة قديمة قدم مأسسة هذه الفروع العلمية ذاتها. ويعود نشر المؤلفات الأولى في تاريخ علم النفس، على سبيل الذكر إلى بداية القرن العشرين: فقد نشر **ج. س. هال** (G. S. Hall (1844- 1924) مؤلفه "أسس علم النفس[1] الحديث" سنة 1912 وكتب **جورج بريت** (Georg S. Brett (1879-1944) في العام نفسه "تاريخ علم النفس". وبعد سنة واحدة من ذلك، أي في 1913 كتب **ج. م. بلدوين** (James M. Baldwin (1861-1934)) "تاريخ علم النفس. محاولة وتأويل"[2]. وتصح هذه المعاينة نفسها أيضا، بشأن علم الاقتصاد: ففي سنة 1860، نشر **لويس بلانكي** (L. Blanqui (1805-1881) "تاريخ الاقتصاد السياسي في أوروبا منذ القدماء حتى أيامنا"[3]. وبعده بنحو ثلاثين سنة، أي في عام 1890 أصدر **م. بلوك** (Maurice Block (1816-1901) مؤلفه الموسوم "تطورات العلم الاقتصادي منذ **آدم سميث**، مراجعة النظريات الاقتصادية"[4]. وفي علم الاجتماع كانت الوضعية مشابهة: وهكذا فقد كتب **ج. ديفي** (Georges Davy (1883-1976) تلميذ **إ. دوركايم** القديم، عشرات سنين قليلة من بعد في عام 1931، بعد أن أتم وضع الدعامات الأولى للسوسيولوجيا الجامعية في فرنسا كتابه "علماء اجتماع الأمس واليوم"[5].

---

1 G. S. Hall, Founders of modern psychology, 1912. Georg S. Brett, A history of psychology, 1912.

2 James M. Baldwin, History of psychology. A Sketch and an Interpretation, 1913.

3 L. Blanqui, Histoire de l'économe politique en Europe depuis les anciens jusqu'a nos jours, 1860.

4 Maurice Block, Les progrès de la science économique depuis Adam Smith, révision des doctrines économiques, 1890.

5 Georges Davy, Sociologues d'hier et d'aujourd'hui, 1931.

لقد كان المؤلفون الأساسيّون لتلك النصوص التاريخية الأولى جميعا ممثلين للعلوم التي يعتقدون أنهم يكتبون تاريخها: إذ لم تكن مهمة كتابة تاريخ العلوم الإنسانية في البداية، من صلاحية المؤرخين المحترفين. لكنها كانت من مهمة مختصين في كل فرع من هذه العلوم. وتؤول بنا هذه الإشارة إلى معاينة مزدوجة.

أولا، أن مهمة كتابة التاريخ هي في الغالب، رهينة أهداف ومصالح علمية: إذ يتعلق الأمر بممارسة بناء وإقامة معالم علوم، تكشف عن رغبة في البحث عن المشروعية. ذلك أن الرجوع إلى الماضي، هو سبيل إعادة تركيب متأخرة لأنساب و"آباء مؤسسين" وذلك بهدف تبرير برنامج بحث معين. ويحدث هذا الصنف من العودة الانعكاسية على الماضي غالبا في لحظة مفتاحية حرجة من تاريخ علم معين، مثلا، كـــ"أزمة" إبستمولوجية أو براديجمية: فعندما كتب إ. ج. **بورينج** (E.G. Boring (1892-1925) مؤلفه "تاريخ علم النفس التجريبي"[6] فقد كان الأمر يتعلق باستعادة مشروعية علم النفس التجريبي الذي اعتبر وقتها علما "تجريديا"، لكن تأثيره قد ضعف بفعل تطور علم النفس التطبيقي والاختبار الذهني (Mental testing)[*].. وعندما كتب ج. **ديفي** مؤلفه "سوسيولوجيو الأمس واليوم"، فقد كان يرافع عن مصداقية سوسيولوجيا **دوركايم** التي كانت حينها تتهاوى.

يركز هذا النمط من السرد التاريخي على مآثر، مذاهب وشخصيات يعتقد بأنها مفتاحية (J. Schumpeter (1883-1950 في مجرى تاريخ وتشكل العلوم الإنسانية. يمنح السرد التاريخي موقعا مفصليا لأفكار"الرواد" والتقدم الذي يتضمن فكرة مفادها أن العلم الذي تغذيه ديناميكية خاصة، يترتب عن سيرورة

---

6 E. G. Boring, History of experimental psychology, 1929.

(*) موقف تجريبي منمط يشكل حافزا للسلوك. اختبار سيكوتقني يحدد من جهة المهمة الموكلة ومن جهة أخرى طرائق تقييم النتيجة. وهو موجه لتقدير مستوى فعالية المستوى الذهني (ذاكرة، انتباه، استدلال أو نوع الشخصية).

داخلية لا يمكن أن تختزل في مؤثرات أخرى: بهذا المعنى، فإن هذا النوع من السرد يسمى سردا "داخلانيا" (Internaliste). وذلك لأنه يستهدف تشيئة (Réifier) النظريات، الأفكار، الفروع العلمية وحدودها.

وبالفعل تتكون لدينا رغبة عظيمة في أن نعيش تلك الألفة مع الكتاب الكلاسيكيين الذين يشحذون علما ومعرفة تاريخية. ولم تتم إعادة النظر في هذه المماثلة بين العمل التاريخي وعمل معرفة النصوص المؤسسة إلى جانب القيام بعرض تعليمي لجذور فكر ما بشكل جدي سوى ابتداء من عام 1950 وتحديدا في سنوات 1960. فقد هاجم الأمريكي ر. **ك. ميرتون** (R. K. Merton (1910-2003 منذ 1949، عملية الخلط بين ما سماه هو "تصنيفية" ("Systematic") وتاريخ علم الاجتماع. إذ يتعلق الأول بعمل قوانين تصنيف الكائنات الحيّة (Taxinomie) ودراسة النصوص الكلاسيكية، بهدف جرد حصيلة المعارف والتعرف على النظريات والنتائج التي يعتقد أنها مقبولة ثم تدريسها. ومن وجهة نظره، فإن العمل التاريخي لا يقوم بعملية الفرز بين النتائج المقبولة وتلك التي يبدو أنها متجاوزة أو بالية (إن ذلك حسب العبارة الموظفة اليوم هو عمل تماثلي (Symétrique): إذ يتعلق الأمر بفهم كيفية بروز الأفكار، مهما كانت مصداقيتها أو ملاءمتها الارتدادية. هكذا انتقدت التصنيفيات ("Systematics") بشدة من طرف **ميرتون** الذي لم يكن يرى فيها، ليس وحسب خيانة للتاريخ، لكنها أيضا بمثابة خيانة للتفكير العلمي: إذ يقصر الكتّاب كثيرا تحليلهم النظري وأشكلتهم (Problématisation) بصورة عامة، على الأفكار الكلاسيكية وفي قراءة جديدة للكتاب المؤسسين المزعومين.

مشروطية النزعة التاريخانية والسياقية

لكن من الجائز أن يكون النص الذي كتبه **جورج ستوكينج** (George Stocking (1892-1975 تحت عنوان "في حدود الراهنية والتاريخانية" عام 1965[7]، هو الذي شكل مرجعا للباحثين الطامحين إلى قطع العلاقة مع

7 George Stocking, "On the limits of "Presentism", and "Historicism", 1965

الاتجاه المتمثل في استحضار الماضي، من خلال طيف الحاضر، مع وضعية "المنتصرين" الذين لا يرون في الماضي سوى مقدمات منطقية للمعارف الراهنة. وفي مواجهة هذه الاتجاهات الموصوفة بالراهنية، فقد عرض **ستوكينج** المذهبية التاريخانية المنهجية. ويتعلق الأمر بضرورة أن نأخذ في الحسبان، السياق أو العناصر السياقية (بيئة اقتصادية، أخلاقية، أيديولوجية وسياسية، الخ): إذ لا يمكن تحليل نظرية كاتب ينتسب إلى الماضي، سوى في ضوء السياق الذي كان هو سياقها وليس في سياق ما نعرفه اليوم. إن تطور فكرة ما أو نشر نص معين، لا يمكن فهمهما إلاّ بإعادتهما إلى بيئتهما الأصلية. وقد تجسد رمز هذا الانعطاف الذي اتخذه علم التاريخ (Historiographie) على الأرجح في تأسيس "مجلة تاريخ العلم السلوكي" عام 1965[8].

وعقب ذلك، فقد جاءت قراءات وتأويلات أعمال **ت. كون** (T. Kuhn 1922-1996)) ثم المنظورات التي فتحتها الدراسات العلمية (sciences studies) التي تؤكد على ضرورة التمحور حول الشروط الاجتماعية لإنتاج ونشر المعارف، بمثابة المحور اللازم لتجديد أساليب صناعة تاريخ (في الحقيقة، كل بحث) العلوم. ودون أن يبني هذه المواقف الأكثر تطرفا في سوسيولوجيا العلوم دوما، فقد وسع التاريخ بفضلها جملة القضايا المطروحة على الماضي: لا يتعلق الأمر هنا أكثر بعمل كرونولوجيا الأفكار أو الاكتشافات ورسم صور بعض العباقرة الكبار، لكن يتعلق الموضوع بالإمساك بسياقات انبثاق المعارف، العلوم أو الحرف وفهم عمليات وإجراءات إعداد المعارف، سواء اعتبرت هذه الأخيرة ذات مصداقية أم كانت بالية، من وجهة نظر علوم اليوم.

لقد تحولت النزعة السياقية بسرعة إلى ضرورة: فقد صار المزيد من مؤرخي العلوم الإنسانية والاجتماعية، يرافعون لأجل تقصي أكثر"تاريخي" أو"تاريخانية" (Historienne ou Historiciste) يمكن أن تشهد لمصلحته وضعية

8 Journal of the History of Behavioral science

العلم، في أية لحظة معينة بشأن القضايا التي تتخلله في فترة معنية. ليست هذه الضرورة وحيدة المعنى: إذ يمكن أن يغطي السياق الهيئات والمؤسسات العلمية، المصالح السياسية أو الاجتماعية للأعوان وصولا إلى البيئات الاقتصادية، الأخلاقية والأيديولوجية.

وتحت تأثير هذه "الصدمة الكهربائية" التاريخانية، فقد تحولت أساليب صناعة التاريخ: إذ يعاد رسم خطوط ماضي هذا العلم، بالاعتداد بحالة الحقل المعرفي والمناظرات التي تسجل بين المختصين بغية تحديد مفهوم، نشأة وتطور الحقول العلمية، تطور المناهج، مسارات الأفراد والمجموعات، للدفع بالبحوث إلى القدّام. ويصح هذا أيضا عندما يتعلق الأمر بـــ"إعادة الاعتبار" لكتّاب، يعتقد أنه قد وقع تجاهلهم. يترتب عن ذلك، نشأة رؤية "متحررة" أكثر تتخلى فيها الحقبة الفكرية عن موقعها بهدف تأسيس نشاط مهني محدد اجتماعيا، يكون من الضروري المسك بمركزه وممارساته. حيث يكون الدور الاجتماعي أحيانا في علاقة مباشرة مع الطلب الاجتماعي. وتترتب عن ذلك أيضا أعمال بحثية تعالج المراحل التي لم تبلغ المعارف والتفكير حول الإنسان ومجتمعاته فيها بعد درجة منهجية و"علمية" معتبرة.

إن اقتضاء النزعة السياقية لا يجب مع ذلك أن يغيّب عن الأنظار المضامين المعرفية النوعية في الفروع العلمية. فإذا حدث هذا المنعطف بشكل منتظم، فهو لا يزال في النهاية مقتصرا على بعض الأعمال التي تثير الجدل شيئا ما. وتتعايش الرؤيتان اليوم بشكل أساسي، نتيجة توظيفهما لمرجعيات متقاطعة أو هجينة بالخصوص. وهما تركزان على ضرورة مزج المقاربات الداخلية والخارجية وإعطاء أحقية أكبر للمنتجات الثقافية التي تنبثق وتعمل في سياق خاص، مع بنيتها وديناميكيتها الخاصتين. فقد تمت مراجعة إشكالية "الرواد" وجذور نظريات الفكر الاجتماعي مستقوية بشبكة القراءة هذه، منذ عصر الأنوار كما كان الحال بالنسبة إلى جذور سوسيولوجيا **دوركايم**، في حقبة ما بين الحربين العالميتين.

وهكذا فقد فرضت النزعة التاريخانية نفسها بالتدريج، كشرط أساسي لدى المؤرخين في العلوم الإنسانية والاجتماعية: إنها تشكل الآن وفاقا بينهم. وهذا لا يعني أنه لا يوجد مطلقا سوى أسلوب وحيد في كتابة التاريخ. لكن هذا مالا يعني أيضا بأن أشكال كتابة التاريخ السابقة قد اندثرت. إن الاتجاه "الراهني" يستديم، خاصة من خلال كتب مقدمات العلوم الإنسانية أو عبر بعض المنظرين الذين يطالبون بها ويشركونها، بعودة انعكاسية على المقاربة. يمكن أن تتميز القراءات "الراهنية" بفضائل بيداغوجية، استكشافية أو انعكاسية. لكنها لا يجب أن تختلط ببحوث تاريخ العلوم "بشكل كامل".

تاريخ "كامل" أم إبستمولوجيا؟

إذا كان الاستخدام المشرعن للسرد التاريخي، قد شكل كابحا أمام تطور أبحاث تاريخية أصيلة، فهناك عامل آخر جاء ليحرف ما أسماه **ج. روجيه** (Jacques Roger (1920-1990)) "التاريخ التاريخي للعلوم"؛ أي تاريخ العلوم "بشكل كامل". هذا العامل هو الذي يعني أن تاريخ العلوم لا يجب أن يكون تاريخا كغيره: إنه بمثابة إحدى أدوات التحري عن الحقيقية العلمية، المصوبة نحو حل المشكلات والعمل التوضيحي المفهمي وليس اتجاه دراسة وقائع الماضي، لأجلها وفي ذاتها.

وبالنسبة لـــ**ج. باشلار** (G. Bachelard (1884-1962) يجب أن يصف تاريخ العلوم ديناميكية التقدم والحقائق المكتسبة: إنه قصة ("Story") مزودة بغاية الحقيقة. و"بالنسبة للتفكير العلمي، فإن التقدم مبرهن عليه، قابل للبرهنة وبرهانه هو كذلك عنصر بيداغوجي لازم لأجل تطور الثقافة العلمية. وبعبارة أخرى، فإن التقدم هو الديناميكية ذاتها للثقافة العلمية. وهذه هي الديناميكية عينها التي يجب على تاريخ العلوم أن يضطلع بعملية وصفها. يجب عليه أن يصفها مع تقييم، تثمين وإزالة كل إمكانية للعودة إلى الأفكار الخاطئة". وهو يقابل القصة ("Story") التي لها قيمة بيداغوجية، بالتاريخ ("History") الذي يعني تنقيبا عن الوقائع الماضية (والمتجاوزة).

لقد أصبحت فرنسا المتأثرة بالتقليد الباشلاردي في الإبستمولوجيا التاريخية، هي الآن منقسمة بين منظور الإبستمولوجيا النقدية الباشلاردية التي تنظر إلى العمل التاريخي بوصفه أداة للتحليل الفلسفي للحقيقة والمنظور التاريخي الصرف لإعادة تركيب الأحداث الماضية. ورغم ذلك فإن كاتبا متخرجا من هذا التقليد ذاته وهو **م. فوكو** (M. Foucault (1926-1984)[9] هو الذي سيحفز الاهتمام الثقافي غير النظامي الخالص بالتاريخ وبخاصة التاريخ السياقي للعلوم الإنسانية عبر كتابه "الكلمات والأشياء"[10]. إذ ليس التاريخ التاريخي للعلوم، أمرا ممكنا إلاّ بالتحرر من المنظور الباشلاردي، مع التاريخ التبريري أو ذي النزعة الطبيعية، مع التاريخ-الذاكرة أو مع التصنيفية ("Systematic"). ففي هذا الاتجاه وعلى إثر المطالبة بمشروعيته فقد تطور تاريخ علوم الإنسان بشكل تدريجي. لم تكن هذه القطيعة مستساغة بشكل دائم، خاصة في الفروع التي جعلت من عملية تعليم تاريخها، شرطا ضروريا للتكوين. لكن الحركة العلمية كانت فعلية: وعلى سبيل المثال، منذ عشريتين اثنتين، فقد تخطى تاريخ الاقتصاد تاريخ الفكر بمفرده.

تؤدي بنا ملاحظتنا المبدئية هذه -عن تاريخ العلوم المتشكل من ممثلي تلك العلوم- إلى معاينة ثانية: وبحكم أن السرديات التاريخية كانت منذ زمن طويل، بمثابة دعاوى احتفائية ومشرعنة، إن لم نقل أنها كانت تبريرية فهي سرديات علوم نظامية: فقد كان هناك تاريخ للسيكولوجيا، تاريخ للأنثروبولوجيا وتاريخ لعلم الاجتماع.... هذه الوضعية التي طالما ندد بها **ب. جيليسبي** (Billy Gillispie) عام 1988 لم تختف تماما: واليوم أيضا، لا يزال المؤرخون هم في الغالب أعضاء في المجتمع العلمي الذي يصنعون تاريخه. كما توجد مجلات ومجتمعات عالمة، ملحقة بالأساس بفرع علمي واحد (على سبيل المثال، في تاريخ اللسانيات: علم التاريخ، الألسنية، التاريخ، الإبستمولوجيا،

9 Michel Foucault, Les mots et les choses. Archéologie des sciences humaines, 1966.

10 M. Foucault, Les mots et les choses.

اللغة: Histographia Linguistica, Histoire, Epistémologie, Langage).
وإذا ظل التاريخ في الغالب مسألة نظامية يضطلع بها أعضاء المجموعة لفائدة الأعضاء الآخرين من تلك المجموعة (وخاصة الطلبة) فقد انقلبت الوضعية، منذ أكثر من عشرين سنة على الأقل.

واليوم صار من الممكن القيام بتحليلات تاريخية مقارنة أو عرضية رصينة، مثلما يشهد على ذلك نشر الجزء السابع من "تاريخ كامبريدج للعلوم" (Cambridge History of science) الذي خصص بالكامل للعلوم الاجتماعية الحديثة من قبل كل من **ثيودور م. بورتر** و **دوروثي روس** عام 2003[11]. إذ خصص هذا الجزء حيزا واسعا لمسائل متجاوزة للعلوم (مثل تلك التي تتعلق بـــ: الحدود، المناهج، الاستخدامات والوظائف الاجتماعية، النزعة النسبية والأعراق، الخ) وهو يعكس مجهود توسيع القضايا الحالية التي استحوذ عليها مؤرخو العلوم الإنسانية والاجتماعية الذين لم يعودوا مكتفين فقط بدراسة ما هو مسجل تحت تسمية نظامية العلم في الكتب والمجلات المعترف بها من طرف المجموعة العلمية. ويقود التحليل المتقدم للأرشيفات، الشهادات، المراسلات ومسارات الحياة إلى تفكيك بعض مقولات البحث الموظفة للتركيز على الكتاب المهمشين، المناظرات، الأعوان والمؤسسات الموصولة بالحقل العلمي، مختلف المعارف التي هي في أصل الفروع الجديدة والروابط المتينة التي تقيمها بعض العلوم (مثلا، الإحصاء ونظرية الاحتمالات، مع الاقتصاد). بينما يفضل البعض الآخر منهم، الدخول عن طريق "الهامش" (إداريون، مبشرون، صحفيون، عمال اجتماعيون، أساطير ونماذج منمطة (Stéréotypes) وذلك بغية فهم تطور الخطابات العالمة.

---

11 Theodore M. Porter & Dorothy Ross, Modern Social sciences, Cambridge, Cambridge University Press, 2003.

تقاطع تواريخ الفروع العلمية

لقد حدث التجديد المتعمق في علم التاريخ خلال الفترة الممتدة بين 1960-1980، بالتوازي مع التنمية البشرية والمؤسساتية للبحث في تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية أحيانا. وقد أدى نقد العلوم الإنسانية واستخداماتها خلال سنوات 1960-1970 بالباحثين إلى الانشغال بالأسس الإبستمولوجية أو بتاريخ علمهم، حيث أنهم صاروا يقرّون بما يلي: " إذ ما تمت صناعة تاريخ علمنا، فذلك لأننا غير راضين عن وضعيته الراهنة". ويبدو العمل التاريخي إذن، بوصفه اتفاقا مقبولا بين الوفاء لعلم يوظفكم ونقد لهذا العلم". ويصح ذلك بالتحديد لأن التاريخ يمكن أن تكون له وظيفة نقدية يمكنها "أن تكون مخيفة": ذلك أن التاريخ، بفعل إطاحته أو بتقليله من أهمية دور الآباء المؤسسين أو الرواد وبنقده للاستعمالات السيرية والمشرعنة للتاريخ البيداغوجي، يمكن أن ينظر له بوصفه فعل تمرد أو نقدا للأسس.

إذا كان التطور المؤسساتي، قد حدث مبكرا في الولايات المتحدة، حيث تأسس "المجتمع العالمي لتاريخ العلوم السلوكية والاجتماعية" عام 1968[12] كما ظهرت "مجلة تاريخ العلوم السلوكية" عام 1965[13]، فيجب انتظار سنوات 1980 حتى يتم تنظيم البحوث جماعيا في فرنسا: "المجتمع الفرنسي لتاريخ العلوم الإنسانية" الذي تأسس عام 1986[14] وظهرت سلسلة "تاريخ العلوم الإنسانية") في سنة 1995[15] ولم تتأسس مجلة تاريخ العلوم الإنسانية سوى عام 1999[16].

12 Cheiron, The international society for the history of behavioral and social sciences, 1968.
13 Journal for the history of behavioral sciences, 1965
14 La société française pour l'histoire des sciences humaines, 1986.
15 Histoire des sciences humaines, 1995.
16 Revue d'histoire des sciences humaines, 1999.

لكن البحث في تاريخ العلوم الإنسانية لم يرق مع ذلك إلى مكانة جامعية حقيقية في فرنسا. وهو يعيش الآن في سياق انقسامات علمية: إنه يجمع باحثين ومختصين منحدرين من مؤسسات متناثرة وفروع علمية متنوعة. فلا يوجد أي مكان للتكوين أو أي مخبر متخصص في تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية (باستثناء فرق البحث في تاريخ الفكر الاقتصادي، وفق تقليد متجذر جيدا في علم الاقتصاد). وهو لا يزال موجودا في الأساس بفضل المجتمعات العالمة والمجلات العلمية أو البيفرعية[17]. وهو يعيش أيضا، حيث يتم استقباله تدريجيا إن لم نقل تشجيعه في المواقع التقليدية المخصصة لتاريخ علوم الطبيعة والحياة، خاصة في مركز "**ألكسندر–كويري**" (Alexandre-Koyré (1892-1964) ومعهد تاريخ وفلسفة العلوم والتقنيات، لجنة التاريخ في المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) التي تنشر منذ عام 1999 مجلة "لأجل التاريخ" للمركز الوطني للبحث العلمي[18].

ويمكن أن تضاف إلى هذه الهشاشة النسبية المؤسساتية، عقبات مترتبة عن شكل من الاختلال والفوضى في الأرشيفات بالنسبة للمؤرخ الذي لا يرغب في الاقتصار على قراءة النصوص القديمة المنشورة وعملية التحقق من الأرشيفات. ثم أن التوصل إليها في كثير من الأحيان، هو أمر غير مستساغ. **أولا**، بفعل تعددية الأماكن التي تم جردها فيها وتجميعها: المكتبة الوطنية الفرنسية، الأرشيفات الوطنية ومختلف مواقعها. **من جهة أخرى**، فأبعد من أن تتم عملية تصنيفها ومركزتها بصفة منتظمة، فقد توجد إضافة إلى ذلك في الوقت نفسه، أرشيفات متعلقة بكاتب أو مخبر...في عدة مكتبات أو في عدة مراكز بحث مختلفة (إذا استطعنا معرفة أمكنتها) أو في حوزة أشخاص خواص، دون أن تكون هناك وسيلة للتحقق منها إلى درجة أن العلوم الإنسانية والاجتماعية في كثير من الأحيان، لا تزال تجهل ماضيها: ومثال ذلك،

---

17 Revue de synthèse, Genèse, Gradhiva, Revue d'histoire et des sciences humaines.
18 La revue pour l'histoire du CNRS.

أن أرشيفات **هنري فالون وألفريد بينات** (Henri Wallon (1879-1962) et Alfred Binet (1857-1911)) لم يتم تصنيفها بشكل منظم سوى في الآونة الأخيرة. وأن أرشيفات **رونيه وورمز** (René Worms (1869-1926)) هي الآن رهن النبش. ودفاتر **موريس هالفاكس** أو **جبريال تارد** (Maurice Halbwachs (1877-1945), Gabriel Tarde, (1843-1904)) بدأ الآن استغلالها بحكم أن المنشورات العلمية للمراسلات لا تزال نادرة.

مسارات، رهانات ومسائل حيوية

ثلاث سنوات عقب الملتقى الذي نظم في ديسمبر 1996، بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس الجمعية الفرنسية لتاريخ علوم الإنسان (SFHSH) نشرت مجموعة من المقالات تناولت المحور التالي: الوحدة الإشكالية. ورغم عنوانها العام جدا وواقع أنه قد انبثق من مجموعة من الباحثين الذين يعملون معا بشكل منتظم، وفي مستهل هذا المؤلف، -عبر تاريخ تشكل هذا الميدان البحثي منذ 1968 تقريبا- فقد دافع **س. بلانكارت** (C. Blanckaert) عن التاريخ الذي "يفتقر إلى قانون جامعي فعلي" ولكنه ديناميكي، بالنسبة لهؤلاء المؤرخين للعلوم الذين يعتبرون "منشقين"، لكنهم لحسن الحظ يديمون الذاكرة الجمعية، بجعل التاريخ الخطي الذي يمثله الرواد المؤسسون نسبيا وذلك بفعل تأريخهم مقاييس "الحقيقة العلمية". ويمكن أن يتجسد هذا الموقف الأخير الذي فرضوه على أنفسهم في "النزعة التاريخانية"، مثلما حددها **ج. ستوكينج** عام 1965: إنها نزعة تعارض "التاريخية المعيارية والداخلانية" التي سبقت. وفي خضم هذا التحول، فقد جاءت تلك المعاينة كثيفة: "إذ لم تعد الاستقلالية العلمية مصادرة في البحث التاريخي". كان ذلك هو المنعطف الكبير الذي يطبع المرحلة الماضية. ويلاحظ **بلانكارت** في الواقع تلاقيا مفاجئا بين عوامل هذا التطور على مدى جيل واحد. في قلب هذا التطور فهو يشير إلى نشأة الجمعية الفرنسية لتاريخ علوم الإنسان، في سنة 1986. ويستخلص بسرعة طبيعة نشاطها منذ أكثر من عشر سنوات. وقد جاء مقترحه هذا مقنعا إلى حد ما. ومع ذلك فقد

وجهت له بعض الانتقادات، بحكم أن التاريخ الذي يقترحه، هو فكري خالص. **النقد الأول** هو غياب تحولات بشأن الأفراد والمجموعات التي تشكل هذا "التاريخ الجديد للعلوم الإنسانية منذ جيل"، وبالتأكيد يتموقع الكاتب هو ذاته، ضمن هذه الحركية. ولذلك يمكن تفهم موقفه بشأن الإشارة المباشرة لفعل الأفراد. وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة تحاشي العقبة المزدوجة للتشهير الذاتي والانحياز في التقدير.

ثانيا وبشكل أعمق، كنا نأمل بعد ذلك أن يضيف **بلانكارت** لهذا الجدول الفكري، بعض عناصر التاريخ المؤسساتي. فهو يشير في الحقيقة – في لحظة معينة– إلى "احتراز السلطات الإدارية" إزاء تاريخ علوم الإنسان، حيث أشار إلى أن الجمعية الفرنسية لتاريخ علوم الإنسان قد "نشأت عقب صمت الأجهزة الرسمية". وكنا نرغب في معرفة أكثر بشان ذلك: ما هي المحاولات التي أجريت لمأسسة تاريخ العلوم الإنسانية؟ أين ومتى ومن قبل من؟ بأي المؤسسات يرتبط رواد هذا التاريخ الجديد لعلوم الإنسان؟ ما هي المقاومات التي واجهوها؟ لماذا فشلت مبادراتهم؟. ومن هذه الزاوية فقد تقدمت **ج. كاروا** (Jacqueline Carroy) بإنارة بيوجرافية: وثائق أرشيفات شخصية تدعم وتحكي كيف ولماذا تم رفض مشروعها حول تاريخ السيكولوجيا، في منتصف السبعينات من قبل اللجنة(*)، بينما قامت **م–ك. روبيك** (Marie-Claire Robic) المستقوية بتحليل ممنهج لمجموعته الفكرية، فهي تموقع الاهتمام بالتاريخ انطلاقا من سنوات 1970، في إطار التطور البراديجمي العام للجغرافيا.

يعالج **بلانكارت** في المساهمة الأولى العامة للكتاب، موضوع "التاريخ العام لعلوم الإنسان، المبادئ والحقب". لقد كان ذلك بمثابة مشروع طموح. إذ من النادر جدا، –حيث نتروي في حقبنا القصيرة جدا–، أن نخاطر بتساؤلنا عن التعاقب التاريخي العام حول المدة الزمنية الطويلة التي نصنعها. في حين أن الموضوع جد مهم، وإن كان كذلك صعبا. إنه مهم جدا في نظر الكاتب لسببين اثنين:

(*) Carroy Jacqueline, Ohayon A., Plas R., *Histoire de la psychologie en France XIXe-XXe siècles*, éd. La Découverte, «Grands Repères Manuels», Paris, 2006.

1- فمن الواجب أن ينشغل الباحث في التاريخ بالتربية (التعليم). 2- كما يجب التفكير في الكيفية التي يمكن لهذا العمل الذي ينبع اليوم من جهد جماعي وليس أبدا من "إرادة القوة التي تطبع نشاط الفلاسفة اللامعين المتنازع حولهم". في الواقع، تتشكل تكملة هذا المؤلف الضخم من عودة نقدية على تلك المحاولات الفلسفية المطبقة على تاريخ علوم الإنسان. إذ يعود **بلانكارت** أولا إلى تلك المحاولات التي انطلقت خلال الستينات من جهة، من قبل التقليد الماركسي النقدي، ومن جهة أخرى من قبل التقليد الفينومينولوجي الذي يتزعمه **ج. جوسدورف** (G. Gusdorf (1912-2000). وهو يسترجع عبارات النقاش ويذكر بالانتقادات اللاذعة التي تبادلها هذان التياران حينها. إنها لحظة قوية وممتعة في هذا النص، أين يتحكم الكاتب تماما في موضوعه، يعرف كيف يسرد في صرامة التحليل بعض النكت حول ظلامية بعض أفكار أبطال محبوبين أمثال: **م. فوكو وج. لاكان** بالنسبة لجيل كامل. بعد ذلك، ولتوضيح مسألة تقطيع الموضوع إلى حقب زمنية، فهو يناقش مطولا مثال مرحلة الانتقال من القرن 18م-19م، متسائلا: إن كانت هناك قطيعة أم استمرارية؟ فهل اخترع القرن 19م العلوم الإنسانية والتاريخ؟ وتجيء بعدها لحظة طرح إشكالية "الإبستيمات" العزيزة على **فوكو**، ثم تتبع ذلك براديجمات **ث. كون** وأبحاث إ. **لاكاتوش** (I.Lakatos)، التي تشهد كلها على حقيقة أن **فوكو** قد تم "تكييفه، تعديله" لكن في الأساس "أن توصياته قد تم الاعتداد بها".

ومهما يكن الأمر فإن تلك الأوراق تنتهي بحكم، يبدو غير متنازع حوله ولكنه غير مكتمل: لم تبدأ علوم الإنسان في القرن 19م، لكنها تأثرت بإعادة هيكلة كبيرة من قبل تباين منظورات العلوم المعاصرة التي ستزداد مع تقسيم العمل الفكري واحترافية متزايدة في الميادين الجديدة والمهارات". هذا هو الأساسي: إن "التحقيب العام يمكنه بل يجب أن يبحث عن سند" في تاريخ التخصص العلمي. هذا التخصيص يبدو لنا غير مكتمل ويمكن تفكيره خارج مأسسة العلوم الإنسانية. وإذا لم يكن مختزلا فيها فهو مرتبط بها بكل تأكيد، وهنا يجب موقعة مساهمة تاريخ اجتماعي للعلوم. وأخيرا، فإن الاقتراح الذي

تقدم به الكاتب يجب تكملته بذلك الذي عرضه **ل. لوتي** (L. Loty) **وم. رينفيل** (M. Renneville) اللذان تساءلا عن العلاقات بين ما يعترف به لكافة الحقب، على أنه "علمي" أو "لاعلمي"، حيث يطرح هذان المؤلفان مسألة التاريخ على المدى الطويل وتحولات تلك العلاقات أي "تاريخ الأشكال التي تسجل فيها المعارف". وسواء تحدثنا عن الأخلاق، السياسة أو مثلما هي الموضة اليوم –"دراسة زحزحات الحدود بين العلمي واللاعلمي"، فهي موضوع تفكير جوهري لدى المؤرخين، كما هو الحال لدى إبستمولوجيي الوقت الحاضر. ويقترح المؤلفان بحق أن هذه الدراسة لا يمكن فصلها عن التحليل المؤسساتي، نظرا لأن التحولات في أشكال المعارف تلك تظهر غالبا أثناء "حقب حرجة، "في تنظيم المعارف وعلاقاتها بالمجتمع"، مثلما هو الحال إبان الثورة الفرنسية.

في خاتمة نصه، يرفض **بلانكارت** إذن التحقيبات الكبرى المبنية من قبل الفلاسفة الذين يسعون إلى بلوغ الحقيقة حول الوعي واللاوعي الإنساني، مستخلصا فكرة عامة شيئا ما تفيد أن العلوم الإنسانية "مثلها مثل الإنسان، فهي لا تبدأ كما لا تنتهي". وبحكم أن المؤلف قد برر منذ الانطلاقة مقترحه بحرص مزدوج حول تعلم وبناء جمعي للتاريخ، فقد كنا ننتظر منه بعض الاعتبارات البانية، من جهة حول كيفية تعليم هذا التاريخ العام للعلوم الإنسانية، ومن جهة أخرى حول كيفية تحاور التواريخ المتخصصة جدا على الدوام والتي لا تتواصل فيما بينها. إذ لم توجد مثلما هي في الوقت الراهن، كثير من كتب التاريخ العام للعلوم الموجهة للطلبة في الطور الأول والثاني، فما هو الحكم الذي يسديه المؤرخ عليها؟ كيف يمكن إنجاز عمل مشترك لأجل مقترح أفضل؟

وفي مساهمة كل من **ل. بلانديو** (L. Blondiaux) **ون. ريتشارد** (N. Richard) فقد تساءلا إذا لم تكن النزعة الراهنية (présentisme) هي نزعة مكروهة في الحقيقة. إن التساؤل ليس وحسب مشروعا (لأن المؤرخين المحترفين هم في الحقيقة نادرين) ولكنه كذلك تساؤل مثير. في الحقيقة، أن مؤرخ الحاضر

يسوق وأحيانا أخرى يسوق أكثر عندما يتعلق الأمر بحبس "المؤلفين الرديئين"، في إطار أحكام مسبقة لزمنهم. وانطلاقا من ذلك فهو ليس مقياس معارضة للنزعة التاريخانية، حيث لم تبق سوى خطوة واحدة لا يمكننا تجاوزها، فليست الأداة هي التي تشكل الفرق بل استعمالها. إذ لا توظف التاريخانية تقنية تجهلها النزعة الراهنية جذريا، بوصفها سرا مهنيا يخصص للمبتدئين الذي تلقوا التدريب: فكل الناس يمكنهم التوجه للأرشيفات وفتح الملفات. إنه موقف منهجي يحدد خصوصية المؤرخ. ذلك أن نيته قبل كل شيء، هي التي تنحرف في توظيف الأداة. لكن المؤلفان يقدمان حجة جد قوية وهي أن: كل تاريخ هو سرد انتقائي إن لم نقل أنه موجه، ومنه "يجب دون ريب تقبل فكرة أن التاريخانية ليست مشروعا غير مجسد لاستعادة الماضي بالكامل". يبدو ذلك الأمر لا متنازع عليه: المؤرخون هم دوما شيئا ما راهنيون على طريقتهم، لأنهم لا يستطيعون التغاضي تماما عما هم في الحقيقة، من اللحظة والموقع الذي يتحدثون منهما، ولمن يوجهون خطاباتهم ويلتقي هذا كله مع ما سبق قوله من قبل **رانفيل ولوتي**.

وفي خاتمة النص يرجع **بلانديو وريتشارد** على الموقف الصعب لمؤرخ العلوم الإنسانية، الذي لا يرتبط عموما بطائفة المؤرخين (ولا بجماعة المؤرخين المحدودة جدا)، التي يجب أن تتموقع وبكيفية معينة أن "تقدم محاسبة" في إطار تخصص انتمائها. إن التساؤل حول: "ما الفائدة من تاريخ العلوم الإنسانية"، يطرح إذن فيما يخصه بشكل مخالف، مقارنة بمؤرخ معترف به مؤسساتيا. الأول يجب أن يتساءل عن مغزى التاريخ الذي يدرسه في العلم الذي ينتمي له، حيث يجب عليه أن يرد على النقد الكلاسيكي الموجه للنسبية الساذجة: "هل يمكن أن يكون للتاريخ كموضوع مشروع تعليم الشك حول مكانة المعارف، وفي الوقت ذاته، أن يحرض الطلبة على اكتسابها؟". يرد المؤلفان على ذلك باقتراح ثلاث مساهمات للتاريخ: 1- بحكم تجزئة العلوم، يظل المؤرخ في الأخير آخر عالم عام في علمه. وفي مواجهة أسطورة الوحدة العلمية المفقودة،

يمكنه أن يذكر بأن الاختصاص كان دوما محل نزاع وفضاء نقاشات نقدية. وفي هذا فهو يضطلع بمهمة بيداغوجية كاملة (يمكن أن نضيف أنه يكون أحيانا الأفضل من حيث موقعه لتدريس مقدمة تخصصه). 2- المؤرخ أفضل تسلحا لطرح مسألة العلاقات بين العلم، الفلسفة، السياسة، الثقافة، الخ. ويسهم هكذا في تفكير إبستمولوجي وأخلاقي في ميدان عمله. 3- يسمح التاريخ بمحاربة الهيمنة الراهنة للبراديجمات، إذ "يفتح حقل الممكنات" العديدة. وأكثر من "راهنية مستنيرة"، يدعونا الكاتبان إذن في النهاية إلى "تاريخانية ملتزمة". لنقل مع ذلك، أنه إذا كانت الحجتان الأولى والثانية قد أقنعتانا بالكامل، فإن الأخيرة يبدو بالعكس أنها تفتح السبيل واسعا أمام خطر توظيف التاريخ.

ونظرا للنقد الصارم الموجه ضد فكرة بناء معارضة، بين **دوركايم/فيبر** (سوسويولوجيا فرنسية/سوسيولوجيا ألمانية) خاصة وضد أسطورة الهيمنة غير العادلة على **ج. تارد** (G. Tarde (1843-1904) من قبل الدوجماتي الدوركايمي القوي، لدينا القناعة بأن التاريخ لا يجب أن يستخدم مطلقا في التدخل في إطار النقاش البراديجمي الراهن لعلم ما، تحت خطر أن يتحول من دون إرادة إلى مبايعة مؤسسات، ليس لها من التاريخ سوى الواجهة، والتي هي في الواقع كيفيات توظيف التاريخ لخدمة مركز راهن لمدرسة تقدم نفسها (عن خطأ أو صواب) كأقلية أو معارضة. إذ يقدم المؤرخ أدوات يمكنها أن تثري بشكل معتبر النقاشات البراديجمية للعلوم الحالية، لكن ليس من صلاحياته أن يحكم كيف يمكن استخدامها. وعلى الأقل، لنقل أنه في هذه اللحظة، فهو لم يعد مؤرخا. يترتب عن كل هذا أن تاريخ العلوم، هو متقدم بشكل لا متساوي. حيث تستفيد السيكولوجيا من كثير من الأعمال القديمة نسبيا ومن مؤسسات مخصصة لها أيضا، بشكل أولي. وفي الجهة المقابلة، لا يمكن للسوسيولوجيا، الجغرافيا أو العلوم السياسية أيضا، أن تدعي توفرها على دراسات تاريخية كثيرة إلى هذا الحد.

قائمة بيبليوجرافية

1- Abbott A., Department and discipline, Ed. University of Chicago press, Chicago,1999.

2- ----------, L'Activité rationaliste de la physique contemporaine (1951), éd. PUF., Paris, 1965.

3- Besnard P., "La formation de l'équipe de l'Année sociologique", in Revue française de sociologie, 1979, vol.20, N°1, pp.7-31.

4- Blanckaert C., "Story" and "History" de l'Ethnologie", in Revue de synthèse, 1988, vol.109, N°3-4, pp.451-467.

5- Blondiaux I., La fabrique de l'opinion. Une histoire sociale des sondages, éd. Seuil, Paris, 1998.

6- Boring E.G, A history of experimental psychology, Ed. The century Co, New York, London, 1929.

7- Capshew J.H, Psychologists on the march. Science, practice and professional identity in America (1929-1969), Ed. Cambridge University Press, Cambridge, 1999.

8- Chapoulie J-M, "Un cadre d'analyse pour l'histoire des sciences sociales", in Revue d'histoire des sciences humaines, 2005, N°12.

9- Clarck T., Prophets and patrons. The French university and the emergence of social sciences, Harvard University Press, 1973.

10- Davy G., Sociologues d'hier et d'aujourd'hui (1950), éd. PUF, Paris, 1981.

11- Foucault M., Les mots et les choses. Archéologie des sciences humaines (1966), éd. Gallimard "Tel", Paris, 1990.

12- Gillipsie C., "History of the social sciences", in Revue de synthèse, 1988, Vol.109, N°3-4, pp.379-385.

13- Graham I., Lepenies W.and Weingart P. (dir.), Function and uses of disciplinary histories, Ed. Riedel Publishing company, Dordrecht, Boston, Lancaster, 1983.

14- Heilbron J., The rise of social theory, Ed. Polity Press, Cambridge, 1995.

15- Jones R.A., "The new history of sociology", in Annual review of sociology, 1983, N°9, pp.447-469.

16- Karady V., "Durkheim, les sciences sociales et l'université: Bilan d'un semi-échec", in Revue française de sociologie, 1976, vol.17, N°2, pp.267-311.

17- Klein J.L, statistical visions in time. A history of time series analysis (1662-1938), Ed. Cambridge University Press, Cambridge, 1997.

18- Le Gall P., An Archeology of econometrics in France, Ed. Rutledge, London, 2005.

19- Marcel J-C., Le durkheimisme dans l'entre deux guerres, éd. PUF., Paris, 2001.

20- Martin O., La mesure de l'esprit. Origines et développements de la psychométrie, éd. L'Harmattan, Paris, 1997.

21- Matalon M.et Lécuyer B-P, "Jalons pour une histoire des sciences de l'homme. Etudes de cas et essai de synthèse", in Revue de synthèse, 1988, vol.109, N°3-4, pp.373-377.

22- Merton R.K., "On the theory and systematic of sociological theory", In On theoretical sociology. Five essays, old and new, Ed. The free Press, New York, 1967, pp.1-37.

23- Mucchielli I., La découverte du social. Naissance de la sociologie en France (1870-1914), éd. La Découverte, Paris, 1998.

24- Pickering A., "From science as knowledge to science as practice", In Science as practice and culture, Ed. University of Chicago Press, Chicago, 1992, pp.1-26.

25- Platt J., A History of sociological research methods in America (1920-1960), Ed. Cambridge University Press, Cambridge, 1996.

26- Pollak M., "La planification des sciences sociales", in Actes de la recherche en sciences sociales, 1976, N°2-3, pp.105-121.

27- Porter T. et Ross D. (dir), The modern social sciences (The Cambridge history of science), Ed. Cambridge University Press, Cambridge, 2003.

28- Roger J., "Pour une histoire historienne des sciences", In Pour une histoire des sciences à part entière, éd. Albin Michel, Paris, 1995, pp.43-73.

29- Schumpeter J., Histoire de l'analyse économique (1954), trad. J-C. Casanova (dir), éd. Gallimard "Tel", Paris, 2004.

30- Sibeud E., Une science impériale pour l'Afrique? La construction des savoirs africanistes en France (1878-1930), éd. EHESS, Paris, 2002.

31- Stocking G., "On the limits of the "Presentism" and "Historicism", In Historiography of the behavioral sciences" (1956), In G. Stocking & George W., Race, culture and Evolution. Essays in the history of Anthropology, Ed. The free Press, New York, 1968, pp.1-12.

32- Wagner P., Wittrock B. and Whitley R. (dir), Discourses on society: the shaping of the social science disciplines, Ed. Kluwer academic Publishers, Dordrecht, Boston, 1991.

33- Blanckaert C., Blondiaux L., Loty L., Renneville M., Richard N. (eds.), L'histoire des sciences de l'homme. Trajectoires, enjeux et questions vives, éd. l'Harmattan, Paris, 1999.